المبحث الأول

الغزو الروسي لإمارات خوقند، بخارى، خيوه، مرو، والقبائل التركمانية

منطقة آسيا الوسطى (وسط آسيا)

منطقة آسيا الوسطى ودولة (أفغانستان) الإسلامية إحدى دول هذه المنطقة. تشكل المنطقة وتضاريسها المتغيرة عبارة عن شبه منحرف تكون جبال (الهملايا) الشديدة الوعورة حدودها الشمالية ومن الغرب جبال (التاي) و(يابلونوي) و(ستانوفوي) ومن الشرق جبال (كنجان)، أما هضبة (البامير) فتحيط المنطقة من الجنوب الغربي. كما وتبلغ مساحة المنطقة بحدود ستة ملايين كم [1].

إن منطقة بحر (قزوين) وما يحيط بها من دول الشمال الإسلامية (جمهوريات الإتحاد السوفييتي سابقاً) ذو مساحة من الأرض التي تأخذ إمتدادها حتى تصل جبال (هندوكوش) (والتاي) وفيها تتنوع التضاريس بين جبال ووديان وسهول ومراعي خضراء التي تكفي طعاماً للماشية والأغنام والخيول. ويمكن القول أن الأمطار الكثيرة والثلوج التي تكسوا قمم جبالها أدت إلى أن يكون شتاؤها قارص جدا وتصل درجات الحرارة إلى مادون الصفر، كما أن أنهار (سيحون) و(جيجون) (واترك) و(الميرغاب) وجريانها المستمر يمكن أن تعوض عن حالة ما يشبه الجفاف في منتصف الصيف [2]

---

(١) بارتولد :تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨، ص٢.

(٢) إبراهيم أحمد رزقانة، الجغرافية السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية ط١٩٦٦،٣،ص١٩.

كان سكان منطقة آسيا الوسطى من جماعات وقبائل مختلفة، يتجمعون حيث يجدون الماء والكلأ في المناطق المحيطة ببحر قزوين، ومناطق جريان الأنهار خصوصةً في فصل الصيف. [١] ومن الجدير بذكره أن وجود هذه القبائل وأتباعها فيما بعد، قد اقترن بدور عابر أو أدوار رئيسية في خضم تشابك مصالح الدول التوسعية [٢] (فقبيلة القرغيز)(Karkez)[٣] التي سكنت المنطقة الممتدة من بحر قزوين حتى جبال (تيان شان)كانوا رعاة رحل [٤]، ومع ذلك فقد بقوا في حروب قبلية مستمرة، الأمر الذي أعطى الفرصة لروسيا للتدخل بينهم وفض النزاعات مما جعل القبيلة الصغيرة مجبرة على تقديم الولاء لها لضمان بقائها بين االقبائل القوية الأخرى. [٥]

يرى يبيانوف فيدوسوف في كتابه أن النظام السياسي الذي كان سائداً عند القبائل يتسم بطابع الإستبداد الشرقي، حيث كان الأمراء يجبرون أتباعهم على دفع الإتاوات والضرائب، كما كان الإقطاعي ذا قوة حقيقية من أجل الاستحواذ على السلطة، وتدبير الإنقلابات وإحياء الحروب التي أتعبت السكان وأضعفت أي نهوض ثقافي واقتصادي [٦]

(□)The new Encyclopedia Britannica , vol,I, events of 1768, U.S.A, P.168

(٢) محمد حسن العيله، أواسط آسيا الأسلامية بين الأنقضاض الروسي والحذر البريطاني، الدوحة، ١٩٨٦، ص١٨.

(٣) القرغيز أو القازاق، كلمة روسية تعني الفرسان أو ركوب الخيل، وكان لهم شأن على القبائل الأخرى، ومنذ القرن الثامن عشر حتى قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧ خدم القوزاق في القوات المسلحة للأمبراطورية الروسية تحت صنف الخيالة غير النظامية (يبيانوف فيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفييتي، موسكو ١٩٦١، ص١٢٧).

□)) Encyclopedia Britannica, vol I, event 1768, U.S.A, P. 168

(٥) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص ١٨.

(٦) يبيانوف فيدوسوف، المصدر السابق، ص٣٩٥.

قبيلة القلمق (Kalmyk) هي الأخرى من القبائل التي حأول الروس إستمالتها، وكان تمركزها بين نهر (الفولجا) وأنهار (آميا) و(آرال) حتى هضبة التبت. وعلى الرغم من غزوات المغول المتكررة لأراضي القلمق إلا أن القيادة الروسية و في بداية القرن الثامن عشر جعلتها تحت سيطرتها وتعاملت مع موظفين روس؛ كان أهالي القلمق لا يرغبون التعامل معهم، مما حدا بالروس إلى فتنة القرغيز والقلمق بغية إضعافهم وإخضاعهم. [١]

قبائل التركمان (TurKoman) ذوي الأصول المغولية وسكان المناطق الجبلية، سكنوا جنوب خانه خيوه (من منطقة بحر قزوين حتى الحدود الإيرانية الشرقية) وتتميز هذه القبائل بعددها[٢] وقوتها ومن بينهما قبيلة تكي (TeKe) التي تقاسمت السكن حول مدينة (مرو) وشمال شرق قوران داغ (Kurran Dagh)، وكما هو حال القبائل الأخرى في الصراع الداخلي لتقاسم النفوذ، فقد سعت القيادة الروسية إلى تمزيق وحدتهم دوماً عن طريق الإغراء تارة والقوة تارة أخرى، وكان من رواد هذا الأسلوب الجنرال الروسي (لامكين) الذي عين خصيصاً لإخضاع هذه القبائل للهيمنة الروسية [٣]

في القرن السادس عشر كانت قبائل (الأوزبك) (Ozbek) تمتهن الزراعة قرب نهر (الفولجا) ومنطقة بحر (آرال)، وبسبب كون نظامهم الاجتماعي تسوده العلاقات العشائرية [٤] القوية فقد امتد نفوذهم حتى إلى (بخارى) و(سمرقند) و(طاشقند)

---

(١) محمد حسن العيلة المصدر السابق ص١٩.

(٢) تشير المصادر التاريخية أن تعداد هذه القبائل يترأوح ما بين (٢١–٢٥) قبيلة منها كوكلن، الياموت، ارساي، تكي، دائرة المعارف الإسلامية، الأزهر، المجلد الخامس، ١٩٣٦، ص٢١٢؛ يبيانوف، المصدر السابق، ص٣٩٦.

(٣) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٧٢.

(٤) يبيانوف، المصدر السابق، ص٣٩٤.

فأصبحت فيما بعد (سمرقند)عاصمة (الأوزبك)، وامتد ذلك النفوذ إلى خانات (بخارى) و(خيوة) و(خوقند) [١]

بعد أن تقلد القيصر بطرس الأكبر (١٦٦٢–١٧٢٥)م مقاليد السلطة في روسيا، أدرك الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية التي يمكن أن يحصل عليها من مناطق (الأوزبك)باعتبارها المنفذ الوحيد إلى وسط آسيا من جهة الشمال والطريق التجاري إلى أفغانستان والهند [٢]. وعلى هذا الأساس فقد أرسل القيصر الأمير (جاجارين) على رأس مجموعة إستطلاعية إلى وسط آسيا لمعرفة احتياجاتهم وما متيسر هناك من مواد أولية، فجاء تقريره الذي بعث به إلى الحكومة الروسية مشجعاً جداً، حيث ذكر وجود كميات من الذهب في منطقة تسمى (يارقند) تقع إلى الشرق من (بخارى) [٣].

ظل القيصر الروسي يتحين الفرصة المواتية للإقدام على التدخل بصورة لا تثير بعض الدول الأوروبية آنذاك بريطانيا والنمسا وكذلك مرجعية العالم الإسلامي الدولة العثمانية [٤]

في عام (١٧١٧)م طلب (نيازخان) أمير (خيوه)من بطرس الأكبر نجدته في نزاع قبلي، فأرسل على الفور قوة عسكرية، وكأن قائد القوة يحمل تعليمات إلى أميرها وكذلك أمير بخارى بضرورة قبول قوة لحمايتهم من اعتداء القبائل الأخرى مستقبلا، غير أن المغزى الأهم لإرسال خبراء روس على الأرض هو لدراستها وتحقيق مآرب توسعية في المنطقة، وتلا هذا الإجراء إرسال سفير إلى إمارة خيوة الذي كان محل ترحاب واستقبال من قبل أميرها[٥]

---

(١) محمد حسن العيله، المصدر السابق،ص٢١.

(٢) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٢٣.

(□) (Boulgar Dametrlus Charles, England and Russia in Central Asia, London ,1879 ,vol, 1,p:149 .

(٤) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص ٢٤.

(□)Boulgar, Dametrius ,Op.cit, p. 149.

في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضمت روسيا أراضي واسعة من آسيا الوسطى وذلك بسبب التحرك العثماني الذي حأول إيجاد تكتل إسلامي وسط آسيا يمكن أن يضعف إستراتيجية روسيا العسكرية، كما خشيت الحكومة الروسية من توسع بريطانيا التي تحأول هي الأخرى الاستيلاء على آسيا الوسطى [1] أما عن الجانب الاقتصادي، فقد كان الطموح الروسي يهدف إلى إيجاد مصادر جديدة للخامات الأولية وفيما بعد أسواق لتصريف منتجاتها. وكانت العين الروسية تنظر إلى شكوك أوروبا حولها ، فقد وجدت أن قدره روسيا في زمن بسمارك التي خاضت حرباً ضد الإمبراطورية (النمسأوية) عام (١٨٦٦)م وحرب ضد (فرنسا)عام (١٨٧٠)، أنها لا تريد عدأوة (روسيا)، فكانت الفرصة مواتية للروس في إخضاع آسيا الوسطى دون اهتمام كبير من قبل الأوروبيين لما يحدث لمجتمعات آسيا الوسطى البدائية والإسلامية[2].

كان الطابع القبلي في الخانات أو الإمارات الأوزبكيه خوقند وبخارى وخيوة ومرو هو سيد الموقف، حيث أن منصب الخان أو الأمير يعتبر هدفاً لأي قبيلة تجد قوة فيها ، وعندما تنجح في مسعاها الإبتدائي فأن النزاع يبدأ فيما بعد بين أفرادها للفوز بمنصب الخان [3]

وفي الجانب الاقتصادي، كانت أوضاع الغالبية العظمى من شعوب الإمارات الإسلامية بائساً ، حيث الزراعة والصناعة بدائية جداً ، والصناعة عبارة عن حرف بسيطة كتلك التي أشتغل الإنسان بها في بداية القرون الوسطى، وكانت المدن مدناً

---

(١) يبيانوف، المصدرالسابق،ص٣٩٥.

(٢) يبيانوف، المصدر نفسه ص٣٨.

(٣) روبير شنيرب، تاريخ الحضارات العام في القرن التاسع عشر، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، بيروت – باريس، ط٢، ١٩٨٧، ص٤١٨ ؛ محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٤١.

إقطاعية [١] وكان أمراء الإمارات يعرفون ويستشعرون بالخوف من اقتراب القوات الروسية من أراضيهم ومراكزهم الإدارية ومع ذلك لم يقم أي منهم بعمل مشترك مع الآخر يوازي ذلك الخطر الداهم [٢]. في الجانب الآخر كان عدوهم من الحيلة والبراعة في إثارة العداء والانتقام لإشغالهم في معارك جانبية لاستنزافهم وهي بذلك قد طبقت سياسة (فرق تسد) في المناطق الإسلامية وقطعت أوصالها حتى تتمكن من السيطرة على كل إمارة أو قبيلة منفردة دون معاونة الأخرى [٣].

ومع كل الاساليب الروسية الماكرة وعندما حدثت المجابهة، فقد أبدت إمارة (خوقند) مقاومة عنيدة لصدِّ الغزاة الذين استخدموا مياه الشرب كوسيلة لإركاع أمير خوقند، حيث قطعوا مياه نهر (شير شيك (Cher Chik) وبذلك استولت على إمارة (خوقند) في ٢٨ مايس (١٨٦٥)م [٤]

أسست القيادة الروسية في الأراضي التي احتلتها حاكمية (تركستان) حيث قسمتها إلى مناطق يرأسها حكام عسكريين بغية تقسيم المسؤولية وإحكام السيطرة عليها. أما النظام الذي تبناه القياصرة فكان نظاماً استعمارياً، حيث تميز موظفيهم بالنهب والإساءة والرشأوي وممارسة السلطة بتجبر فذُكِرَ عنهم " الابتعاد الأقصى عن السكان المحليين " والتعبير عن الكراهية وعدم الثقة بهم، والنظر إلى سكان البلد

---

(١) اندرو ولسن، في قلب افغانستان، تعريب عمر الديرأوي، بيروت، ١٩٨٢، ص٧؛ بيبانوف، المصدر السابق، ص٣٩٤.

(٢) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٤٢.

(٣) محمد عبد القادر، الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي بين الماضي والحاضر، القاهرة، ١٩٩٢ ص٢٤.

في إمارة (خوقند) حدث نزاع على إمارتها عام (١٨٦٠) م بين (عليم خان) و (خضير) الذي لجأ إلى (بخارى) وصاهر أميرها وبالتالي وقف مظفر الدين خان أمير بخارى ضد عليم خان حتى ولو كان نتيجة ذلك العداء تسليم خوقند إلى الروس.محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٤٢.

(□) (Boulgar, Demetrius, Op,cit,P.168.

وكأنهم من جنس أدنى غير قادر على التفكير والاحساس [1]، ومن هذا الإدراك الذي ينتاب عقول الموظفين فأنه "يجب أن يرتجف أمامهم، وأن يقدم لهم فروض الطاعة والأموال وكانت الرشوة متفشية إلى أقصى الحدود". [2] في إمارة (بخارى) وهي هدفهم التالي، فقد استغل الروس الخلافات القبلية بين (خوقند) و(بخارى)، فجندت روسيا عناصر معارضة لأميرها (مظفر الدين) (١٨٦٠–١٨٨٧) م فضلاً عن الأموال السخية التي أنفقت لشراء ذمم بعض قادتهم [3] وفي الجانب العسكري، فينبغي أن ندرك أن التعبئة الروسية (Tactic) كانت تعتمد على أساليب متطورة في حفر المواضع وإقامة القلاع الدفاعية لمحاصرة الإمارات وذلك للحد من قدرة القبائل التي اعتمدت على أسلوب الكرِّ والفر في القتال وشن الغارات على أهداف معزولة. أما أسلحة الجيش الروسي فكانت متطورة بالقياس بما يملكه الطرف الآخر[4].

اعتقد أمير بخارى مظفر الدين (١٨٦٠– ١٨٧٧) م وتحت تشجيع رجال الدين وممارستهم للدفاع عن إمارتهم، أن في استطاعته هزيمة الروس وإيقاف زحفهم في بقية الأراضي الوعرة، فخرج على رأس قوة كبيرة، قوامها خمسة آلاف من الجند النظامي وثلاثون ألف من القرغيز وعشرة آلاف من التركمان ومعه عشرون مدفعاً ليسترد

---

(١) يبيانوف، المصدر السابق، ص٣٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٦.

(٣) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٤) كان أفراد الجيش الروسي مزيج من أبناء الفلاحين وسكان المدن، أما ضباطه فكانوا جميعاً من (الدفوريان)، وكانت الخدمة مستمرة مدى الحياة. كانت القوات العسكرية عام ١٨٠٠ مجهزة ببنادق وحراب مصنوعة في روسيا، مدفعية طويلة المدى، مدافع هأون إضافة إلى السيوف والدروع التي كانت بيد الخيالة. كان الضباط الروس يتخرجون من مدارس عسكرية لسد حاجة الجيش. يبيانوف، المصدر السابق، ص ٢٢١؛محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٤٥.

القسم الشمالي من طاشقند من أيدي الغزاة الروس. أما القوة الروسية فكانت أربعة آلاف رجل، من بين خمسة عشر ألف مقاتل كانوا في منطقة تركستان[١]

اشتبك الطرفين في يوم عشرين مارس من عام ١٨٦٦ م عند قرية (برجار) على الشاطئ الأيسر لنهر سيحون، وفيها تمكنت المدفعية الروسية بنيرانها الثقيلة من بعثرة صفوف فرسان الأوزبك وفرار القوة البخارية والأمير إلى منطقة (جيزاك) مخلفين خسائرهم بألف رجل من البخاريين في حين لم تزد خسائر الروس على خمسين قتيل وجريح [٢]، ومع ذلك فقد تمكنت قوات بخارية بعد إعادة تنظيم صفوفها من صدّ الهجمات الروسية في منطقة جيزاك مما أضطر الروس إلى طلب الهدنة لسحب قتلاهم وإعادة تنظيم قواتهم[٣]. وبخطة مدبرة لقوة بخارية ذات عزيمة عالية تمكنت من محاصرة وحدة روسية في سمرقند حتى تمت الإستعانة بالجنرال كوفمان (Kufman) الذي تمكن من اقناع أحد قواد بخارى بمزايا لاحقة، فخضعت الإمارة وأميرها للقوة الروسية عام (١٨٦٨)م.

اعتمد الروس على أساليب متطورة في حفر المواضع وإقامة القلاع الدفاعية لمحاصرة الإمارات وذلك للحد من قدرة قوة القبائل التي عملت على شن الغارات على أهداف معزولة، أما بالنسبة لأسلحة الطرفين فالفرق واضح حيث أن أسلحة الجيش الروسي متطورة وهي تفوق ما لدى الآخر [٤] ناهيك عن المنأورة السياسية التي تميزت بها الخارجية الروسية ووزيرها المتمكن (جورتشاكوف) (Gortchkov) أمام نظيرتها

---

(١) ارمينيوس فامبري، تاريخ بخارى، ترجمة د. احمد محمود السادات، مراجعة وتقديم د. يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٤٦٨.

(٢) ارمينيوس فامبري، المصدر نفسه، ص٤٦٨.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية، ج ٩، ص٤٥.

(٤) يبيانوف، المصدر السابق، ص٢٢١؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص ٤٥.

البريطانية [1] وتجدر الإشارة هنا إلى ان القيادة الروسية قد أوكلت الجنرال (كوفمان) مهمة السيطرة على الإمارات الإسلامية الأربعة، في حين أناطت مهمة إخضاع القبائل التركمانية إلى جنرال آخر هو (لامكين) (LAMKEN)، ولكل واحد منهم قدرته في المناورة مع القبائل وزعماءها غير أن المهم في النهاية هو إخضاع أواسط آسيا للنفوذ الروسي.

في الجانب السياسي أبدل الساسة البريطانيون مخاوفهم حول النوايا الروسية، واقترحوا تحديد مصالح كل منهما في آسيا الوسطى، ووجدوا في نهر (جيحون) أهم عارضة طبيعية جغرافية، فكل الأراضي الكائنة على الضفة اليسرى من حصة روسيا وما يقابلها على الضفة اليمنى (افغانستان) تكون خاضعة للنفوذ البريطاني. [2] في روسيا، ووزير خارجيتها الذي مارس سياسة نشطة بهدف عدم اثارة الدول الأوروبية، فقد عبر الوزير عن العمليات العسكرية ووصفها بأنها ضرورية لضمان أمن الحدود وان القيادة الروسية لا تطمح إلى إحتلال مزيد من الأراضي، وظلت الخارجية الروسية تمارس إسلوب إلقاء اللوم على قيادتها العسكرية في عملياتها وكأنها مبادرة منفردة من (جنرالاتها) كلما وجدت نفسها أمام انتقادات دولية، وهي ليست بالحقيقة[3]، ومع ذلك استمرت الاتصالات بين الطرفين من عام (١٨٦٩–١٨٧٣)م، وفي الوقت الذي تنتقد فيه روسيا إدارة الحكم في الإمارات وتصفه بالاقطاعي والبكوات للسيطرة على السوق المحلية والتجارة، تقول أن موظفيها القيصريين متجبرين وقد اساءوا استعمال السلطة وكأن همهم الرشوة.[4] وأن الإنتفاضات التي قامت في الإمارات وترأسها أحيانا

□) (Boulgar,op.cit,p.166.

(٢) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص١٥٨.

(٣) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥٩.

اقطاعيون ورجال دين كانت تتسم بالرجعية وكانت القوات الروسية تنهبها بقسوة ووحشية [١].

في إمارة خيوة كان الأمر الروسي واضحاً وعلى لسان الجنرال (كوفمان) الذي بعث برسالة إلى الأمير سيد محمد رحيم (١٨٦٤–١٩١٠) بين الهدف من إقامة القواعد العسكرية وطلب منه إما أن يكون مع روسيا أو ضدها وأنهى رسالته بتحذير "أن هناك حدوداً لصبر الإنسان، "وإذا لم أتلق رداً إيجابياً فأني سوف أحضر وآخذه بنفسي"[٢] رفض الأمير الطلب وأعتبره تجبر واستهانة به وبقوته معتمداً في الوقت نفسه على أمير بخارى الذي وعده بمشاغلة القوة الروسية[٣]

في بريطانيا التي تراقب العمليات الروسية عبر وكلائها المنتشرين، وعندما شعرت باستعدادات روسيا أرسلت الكولونيل (شكسبير) إلى إمارة (خيوة) بهدف الوساطة وإزالة شكأوي الروس من إخفاء اسرى ورهائن روس في الإمارة، غير أن الإهتمام البريطاني ينصب في أن إمارة خيوة باعتبارها المدخل الشمالي لحدودها مع الهند وأن تطور العمليات الروسية قد يؤدي إلى ضرب مصالح بريطانيا.[٤]

في (٤)كانون أول ١٨٧٢ ترأس القيصر الروسي إجتماعا ضم إلى جانبه الجنرال (كوفمان) طالباً أن تكون خيوة تحت النفوذ الروسي، وصدرت الأوامر إلى حشد القوة الروسية بالقرب من (قزيل ارات) (kiziL Arrat) لكي تتجنب الطريق المؤدي إليها مباشرة وعندما بدأ الهجوم الروسي بوغتت القوة الخيوية من الخلف[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٩٧

(□) SeYmour Becker,Russias protectrates in central Asia Bukhara and khiua, 1856–1924,Harvard, 1968,p.p69–75

(□) Seymour becker , op. cit, p, 69–75.

(٤) نوري السامراثي الصراع بين روسيا وانكلترا في آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي العدد (٢٧) لعام ١٩٨٦، ص٣٧.

(٥) روبير شنيرب، المصدر السابق،ص ٤٢١.

لم تكن تقديرات أمير خيوه ومستشاريه بشأن القوة الروسية صائبة، كما أن خيانة أمير بخارى قد أدت إلى تفاقم الموقف، فأراد الأمير سيد رحيم تدارك الحالة فأطلق سراح إحدى وعشرون أسيراً روسيا كبادرة لوقف العمليات غير أن الجنرال الروسي أصر على الاستسلام، فدخلت القوات دون قتال وفر الأمير إلى أراضي التركمان، وفي ١٢ حزيران (١٨٧٣) أعيد الأمير إلى إمارته ولكن هذه المرة مكبلاً بشروط [١] أقلها قبوله بجميع المطالب الروسية ودفع التعويضات الثقيلة [٢]

كان لسقوط خيوه صداه في العاصمة الروسية (سانت بطرس برج)، كما روجت له الصحف الصادرة، وأظهرت قدرة قواتها المسلحة في إخضاع الأمراء واحداً بعد الآخر، وعزز هذا الفعل توقيع معاهدة في الثاني عشر من آب (١٨٧٣)، كان بموجبها خضوع أمير خيوه للقيصر الروسي [٣]، في حين ذكرت الصحف البريطانية أن المعاهدة هي بمثابة إنتصار للسياسة الروسية في المنطقة، [٤]. ومن الجدير بذكره أن الهزيمة التي منيت بها بريطانيا في الحرب الافغانية الأولى (١٨٣٨–١٨٤٢) م كان لها أثر كبير في انحسار السياسة البريطانية داخل شبه القارة الهندية، وكان كل ما تفعله هو

(□) Joseph popowski, the rival powers in central Asia, London, 1963,P. 42.

(٢) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٥٧، كانت المطالب الروسية تتمثل في إطلاق سراح الأسرى الروس، والتوقف عن حماية الجماعات التي تغير على القوات الروسية.

(٣) كان مقدار التعويضات تعجيزيا حيث بلغت (٢.٢٠٠.٠٠٠) مليون روبل تدفع على شكل أقساط، وعندما بدء دفع القسط الأول تذمر الشعب الخيوي جداً. دائرة المعارف الإسلامية، ج٩، ص ١٢.

(٤) إستقبل الجنرال (كوفمان) استقبالاً كبيراً من قبل القيصر الروسي ومنحه النياشين ومن معه في الحملة في حين رفضها الشعب، وكان الأمير مجبراً على توقيع المعاهدة حيث أعدم مائة من المتعاونين مع الروس. محمد حسن العيله، المصدر السابق ص٥٨.

مراقبة التحرك الروسي في وسط آسيا وتقديم الاحتجاجات أحياناً دون الأفعال. [١] في هذا الفصل نسلط الضوء حول تطورات الحروب البريطانية الأفغانية الثلاث.

بعد أن انتهت روسيا من بسط سيطرتها على أهم الإمارات الإسلامية جاء الدور لمد نفوذها في المنطقة التركمانية التي أصبحت تتوسط المراكز الروسية ما بين إمارة خيوه وبحر قزوين، وذلك لتحقيق هدف الأنتقام من بريطانيا التي حولت إنتصار سان ستيفانو [٢] إلى هزيمة، وحماية قوافلها التجارية من السلب وأسر بعض الأفراد، كما أن للتركمان إمكانية على تجهيز قوة كبيرة تصل إلى ثمانين ألف فارس يمكن أستغلالها من قبل روسيا [٣]

كلفت القيادة الروسية الجنرال (لامكين) ببسط النفوذ على القبائل التركمانية، وكان يعتقد بعد أن درس خصائص تلك المجتمعات البدائية وأن سياسة المهادنة والدعاية وصرف الأموال لشراء الذمم يمكن أن تؤدي إلى نتيجة، فأرسل دعاة كثر بغية إفهام القبائل المغزى الروسي من التدخل، وحثهم على ترك حياة التنقل والترحال التي اعتادوا عليها والعودة إلى حياة الأستقرار بتجمعات سكانية وما يمكن أن تجنيه من نشر الحضارة والعمران والتعليم على غرار ما يعيشه السكان الروس [٤].

---

(١) محمد حسن العيله، المصدر السابق ص٦٠.

(٢) معاهدة سان ستيفانو في عام (١٨٧٨) م جاءت في أعقاب الحرب التركية الروسية، وتمكن الروس من الوصول إلى القسطنطينية. عقدت معاهدة بينهما في ٣ آذار (١٨٧٨)م سميت (دي ستيفانو) واستولى الروس على ولاية قارس وأردهان وارضروم، وبموجب هذه المعاهدة أضيفت أراضي جديدة لتصبح بموجبها دولة بلغاريا الكبرى، وأن الروس سيمدون من نفوذهم إلى قلب الدولة العثمانية، كما أن سيطرة روسيا على الولايات العثمانية الثلاث سيمكن الجيش الروسي من تهديد شمال العراق والخليج وبالتالي الهند. محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٨٥.

(٣) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٧١.

(٤) أرسل الجنرال لامكين أعداد من القبائل إلى مدينة (كراسنوفودسك) الروسية ليشاهدو على الطبيعة حياة الروس المتطورة الهادئه وكيف يعود موظفيهم من المصانع، فأنبهر الضيوف بما

استمرت القيادة الروسية في نهجها الودي من عام ١٨٧٤ حتى عام ١٨٧٧م ولغرض معرفة اتجاهات تفكير قبائل (التكي) فقط طلب الجنرال (لامكين) الاجتماع بهم في شهر حزيران ١٨٧٤ ، وبين لهم طبيعة العمليات العسكرية الروسية في بخارى وخيوه وضرورة حماية القوافل التجارية التي تسير عبر أراضيهم وفي نهاية الإجتماع وعدوه وعبروا له عن حسن نيتهم ، غير أن زعماءهم كانوا يضمرون كسب الوقت لمواجهة القوة الروسية وكذلك حاجتهم لمواجهة قبائل الأكراد والايرانين [١]

تحرشت إحدى قبائل التركمان في شهر آب ١٨٧٤م بمجموعة استطلاع روسية ورفضوا الإذعان للجنرال (لامكين) فقرر بعد ذلك التحول إلى استخدام القوة العسكرية لإنها السبيل لإركاعهم،ففي ربيع عام (١٨٧٧) تمكنت قوة من الفرسان من مهاجمة منطقة (قزل اروات) وأكثرهم من قبيلة (التكي)، وكانت نسبة الخسائر باهظة لدى الطرفين في بداية المعركة ، ثم ما لبثت وأن تحولت لصالح الروس بعد أن غيروا طريقة هجومهم، عندها أعطى القائد الروسي مهلة عشرة أيام لأهالي المدينة بالرحيل أو إطاعة أوامر القوة العسكرية ، فرحلت أعداد كبيرة منهم إلى مناطق أخرى. [٢]

أما الهدف الثاني الذي تابعته القوات الروسية في حملتها فكان منطقة (التل الأزرق) الذي يبعد حوالي (٢٤٦)كم من منطقة بحر قزوين ، وفيه لجأت أعداد كبيرة من العوائل التركمانية بعد معركة قزل أروات. [٣]

شاهدوه، وفي سنة (١٨٧٤) م جاءه سبعون زعيما تركمانيا ليعلنوا استعدادهم للعمل وفق السياسة الروسية.محمد حسن العيله، المصدر السابق ، ص ٧٣.

(١) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٦

(٣) نجيب عبد الفتاح، أسس التعبية الأرضية السوفييتية، المجلة العسكرية، عدد خاص، وزارة الدفاع العراقية، مديرية التدريب العسكري، ١٩٨٠، ص ١١٩ (ترجمة).

حدثت الحرب الروسية العثمانية في عام ١٨٧٧م، وانشغلت القيادة الروسية في تهدئة عدوتها بريطانيا، فصرفت النظر عن إرسال قوة لحين تحسن الموقف [١]، وبعد ثلاث سنوات عينت القيادة الروسية الجنرال (سكوبيجت) (Skobegett) قائدا على أقليم قزوين، وكلفته بإخضاع قبائل (التكي) في التل الأزرق [٢].

كانت استحضارات الجنرال الروسي تتمثل في الذهاب بنفسه على رأس قوة صغيرة لاستطلاع منطقة التل الأزرق والمناطق المجأورة له؛ بغية وضع الخطة المناسبة وتجنب الخسائر لأميرها كما حدث سابقاً، وفي الوقت نفسه بث الشكوك بين قبيلة (تكي مرو) وبقية أفراد قبيلة (التكي) بغية الحصول على وكلاء يمكن أن يزودوه بآخر المعلومات عن تواجدهم في منطقة التل الأزرق. [٣]

كانت عناصر الخطة العسكرية تتلخص باحتلال قلعة (جانجي) جنوب الهدف المقصود وإسناد المشاه الروس بالمدفعية [٤]، إضافة إلى استمرار المدفعية في مشاغلة المقاتلين من قبيلة (التكي) بغية بعثرة جنودهم. أما الهندسة العسكرية الروسية فقد كلفت بعملية زرع ألغام في الجزء الشرقي من حصن التل والذي يتجمع فيه الثقل الرئيسي للمقاتلين، وحينما بدأت القوات الروسية بالزحف تحت غطاء المدفعية الكثيفة اندفعت جموع كبيرة من قبيلة (التكي) إلى الجزء الشرقي مما أدى إلى إنفجار الألغام التي نشرت الذعر بين صفوف من بقوا للدفاع وفرَّ الباقون إلى مرو. [٥]

أبدت بريطانيا امتعاضها الشديد من التصرف الروسي، حيث استفسرت الحكومة البريطانية "إلى متى ينتهي دور روسيا الحضاري في وسط آسيا؟"، وإن النشاط الروسي في المنطقة التركمانية سوف يؤدي إلى تعقيدات ضد مصالح كل من

---

(١) نجيب عبد الفتاح، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٢) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٧٨.

(٣) نجيب عبد الفتاح، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٥) قدرت عدد العوائل النازحة بحدود (٤) آلاف عائلة، المصدر نفسه، ص٧٩.

روسيا وبريطانيا [١]. أما الروس فقد بين وزير الخارجية أن روسيا ليس لها أهداف في الأراضي التركمانية ولا تريد إيذاء شعبها وأن كل ما جرى ليس أكثر من الدفاع عن النفس [٢].

في إيران أظهرت الحكومة تعاطفها مع قبائل التركمان، وبينت أن التدخل الروسي لا يستند إلى قانون، وبنفس الوقت ولكي لا تُغضِب القيصر فأنها حثت القبائل التركمانية على عدم اعتراض القوافل التجارية في أراضيها [٣].

في إمارة (مرو) التي رسمها القيصر الروسي لقواته بغية السيطرة عليها ففيهما إمتيازان؛ الأول إقتصادي والآخر عسكري [٤]، والثاني ينصب في أهمية احتفاظ الروس على الطريق الذي يبدأ من بحر قزوين – أسفل مرتفعات خراسان – استرآ باد – ابيأورد– مرو، .وبالرغم من الوعود التي أطلقها زعماء قبيلة التركمان إلا أن عملية ضبط عناصرها المنتشرة كان صعباً، مما أدى إلى قيام قوة من قبيلة التركمان في كانون أول ١٨٧٣م في مهاجمه أحد القوافل التجارية الروسية المتجهة من بخارى إلى خيوه، فما كان من القائد الروسي إلاّ أن توعدَّ تركمان مرو [٥] بالعواقب الوخيمة بالرغم من المعلومات التي وصلته من أن الفاعلين الحقيقيين هم ليسوا من أهالي مرو[٦].

---

(١) Martin Ewans, a short history of its people and politics, U.S.A, 2002 P.82.

(٢) Ibid, p. 82.

(٣)Martin Ewans, a short history of its people and politics, U.S.A, 2002 P.83.

(٤) تتمتع مرو بأهمية تجارية، تبلغ مساحتها حوالي (٣٢٦٧) ميل مربع منها (٢٧٠٠) ميل مربع صالحة للزراعة، وعلى هذا الاساس فإن نسبة عالية من سكانها يشتغلون بالزراعة، كما أن الإمارة فيها من السدود والقنوات، ويأتي القمح إنتاجها الأول ثم القطن وتربية دودة القز.محمد حسن العيله، المصدر السابق ص٨٦

(٥) تتألف قبائل تركمان مرو من ثلاث، أهمها قبيلة التكي وهي القوية، وقبيلة (سالور) وهي الحاكمة في مرو، والثالثة هي (الساريك) التي تتمركز قرب الحدود الافغانية.

(٦) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٨٦.

في آذار ١٨٧٩م كان الجنرال لامكين والجنرال لازاريف على رأس قوة روسية لإخضاع الإمارة، وعندما وصلت المعلومات إلى الأمير (نور وردي خان) حأول جهده في بناء جبهة وطنية من مختلف القبائل للدفاع ضد الغزو الروسي، إضافة إلى إقامة حلف إسلامي من أيران وأفغانستان التي وعدته بالمعأونة (بألاموال والعتاد) دون الرجال بعد أن بين أميرها خطورة الموقف البريطاني وأحتمال الغزو [١]. ومع كل الاستعدادات التي أقدم عليها أمير (مرو)، إلا أن الآخرين قد خذلوه فاستسلم دون قتال [٢]. ومرة أخرى تذرعت روسيا أنها لا تنوي البقاء في المنطقة، وأن العمل الذي قامت به كان لأغراض انسانية ومنع عمليات السلب والنهب التي ازدادت قرب منطقة بحر قزوين [٣].

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تخوض غمار تجربة قتالية ثانية في أفغانستان عام ١٨٧٩ م، كان الروس يزحفون جنوبا لتكون الإمارة الاسلامية الرابعة تحت هيمنتها، وهذه المرة بحجة إيجاد مراكز متقدمة لنفسها لصد التوسع البريطاني، فأستولت على إمارة مرو بعد مرور ثلاث سنوات عام (١٨٨٣) م. إما بريطانيا المستاءة، فقد ظلت تعالج الموقف الروسي بالمذكرات السياسية، فهي تخشى من بدء عمليات جديدة في ولاية هيرات القريبة من الهند، كما أن ما جرى للقبائل التركمانية قد يدفعها إلى النزوح المتزايد إلى الأرض الأفغانية، وتجد روسيا الحجة في مهاجمتهم تحت ذريعة شن الغارات على قوافلها من الأرض الأفغانية وبالتالي تصبح مسألة الدولة الحاجزة مجرد كلام كتبته السياسة البريطانية [٤].

---

(١) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص٨٨.

(□) Martin Ewans, Op.cit, p.83.

(٤) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٩٨ .